تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الرابع:

الطرق الصوفية

التصوف مفاهيم ومصطلحات
مثال: تجربة التصوف في السودان

د. محمد البشير محمد عبد الهادي
السُّودان – أم درمان

الملخص:

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقرآن، علم الإنسان ما لم يعلم، خلق الإنسان، علمه البيان، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، أمر الرسول = ρ – أن يقرأه على مكث، وأن يرتله ترتيلا، وصلى الله على سيدنا محمد الذي تلقى *القرآن كما نزل، ورتله كما أمر، وعلى آله وأصحابه الذين سمعوه فتلقوه كما سمعوه، فرضى الله عنهم وعن من* تلقوه عنهم والتابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم جيلاً بعد جيل حتى وصلنا بتمامه وكماله، محفوظاً من التغيير والتَّحريف، متلوّاً على الوجه الصحيح كما نزل بلسان عربي مبين.

هذا الاستهلال المطوّل لا ينفصل عن الموضوع بل هو مدخل له، لأن المتصوِّف الحقيقي هو الذي التزم صاحبه العلم والزّهد، فهما عمودا التصوف حسب ما ورد على ألسنه أكثر أهل العلم من المتصوفة.وقالوا كذلك إن حقيقة التصوّف هو اتباع الشريعة والعمل بالكتاب والسُّنة، ومجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، وكثير منهم أهتمّ بهذه المعاني وجعلها أساساً لتصوفه رغم الغلو من بعض المتصوفة والمبالغة في احترام الأشياخ ونسبة الكرامات إليهم بصورة جعلت كثيراً من الناس يتحدثون عن التصوّف بصورة لا تليق.

إن التصوّف الحقيقي علم وعمل مستقى من كتاب الله وسنة رسوله – ρ – وبالتالي كل المتصوفة الذين اهتموا بالعلم والعمل زهدوا في الدنيا وابتعدوا عن الشعوذة والخرافات التي أخذت على كثير من المتصوفة في هذا الزمان، الذي نسبت إليهم فيه بعض العقائد مثل القول بالحلول والغلو في الصالحين، وهذه سيأتي الباحث لتفصيلها في سياق البحث بإذن الله – تعالى –.

هذا البحث أريد به الوقوف على مفاهيم التصوّف ومصطلحاته وتبيانها من خلال المصادر والمراجع المعتمدة لدى أهل العلم.

أولاً: مشكلة البحث:

إن مشكلة هذا البحث هي الخلط الذي حدث في مفاهيم التصوّف ومصطلحاته ليبين ما هو معتمد وما هو فعّالٍ.

ثانياً: هدف البحث:

التعريف بمفاهيم التصوّف ومصطلحاته.

الوقوف على تجربة التصوّف في السودان.

ثالثاً: أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أن التصوّف انتشر في أنحاء العالم المختلفة واختلطت على الناس مفاهيمه، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين الغث والسَّمين.

رابعاً: أسئلة البحث:

السُّؤال الرئيس لهذا البحث هو:

ما المقصود بالتصوّف عند الصوفية وغيرهم ؟، ويتفرع من هذا السُّؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1) **ما المقصود بالتصوّف عند الصوفية ؟**
2) **ما المقصود بالتصوّف في المذاهب الإسلامية المختلفة ؟**
3) **ما مفهوم التصوّف عند المعاصرين ؟**
4) **ماذا عن تجربة التصوّف في السُّودان ؟**

خامساً:منهج البحث:

منهج هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وقد عرف المنهج الوصفي بأنه: (هو الأسلوب الذي يعتمد على دراسة الواقع ويهتم بوصف الظاهرة وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها أما التعبير الكمي فإنه يعطينا وصفاً رقمياً إذ يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات إرتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى)(1).

سادساً:هيكل البحث:

يأتي هذا البحث في ثلاثة مباحث هي:

- **المبحث الأول: الإطار العام ويشتمل على مقدمة ومقدمة منهجية للبحث.**
- **المبحث الثاني: مفاهيم التصوّف لدى المتصوفة والمعاصرين.**
- **المبحث الثالث: التصوّف في السُّودان.**

سابعاً: الخاتمة وتشتمل على:

نتائج البحث.

- **توصيات البحث**

---

(1) عبيدان ذوقات وآخرون ، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط8 ، 2004م ، ص 191.

ثامناً:

- **المصادر والمراجع.**
- **فهرست الموضوعات.**

المبحث الثاني: مفاهيم التصوّف والمصطلحات لدى المتصوِّفة والمعاصرين.

مفاهيم التصوّف: **اختلف العلماء كثيراً في تعريف التصوّف فمنهم من قال: (إنها نسبة إلى أهل الصَّفة وهم فقراء من الصحابة كانوا يقيمون في فناء ملحق بمسجد الرسول ρ ومن هؤلاء الصحابة أبو هريرة رضي الله عنه-)(2).**

وهذا من الآراء غير المسلم بها . وقال بعضهم إنه منسوب إلى الصفاء وهذا قد يكون لائقاً بهم، ولهذا قال أبو الفتح البستي(3).

تخالف النّاس في الصُّوفي جهلاً وظنّوه مشتقاً من الصوف
واختلفوا صافي فصوفي حتّى سمّي الصُّوفي
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى

وقال بعضهم: (إن التسمية كانت لقوم في الجاهلية يقال لهم صوفية، كانوا يخدمون الكعبة – لاشتغالهم بالعبادة – قيل سموا بذلك لأنهم تشبكوا بالكعبة كتشبك الصوف بما ينبت عليه)(4).

هذه من التعاريف وغيرها ذكر عن الصُّوفية . أما الصُّوفية أنفسهم فقد ذكروا: (التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)(5)، وقال آخر: (الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق)(6)، وقد ورد في الرسالة القشيرية: (التدين في أسمى صوره ... والإيمان في إيجابياته ... والإحسان في العادة والعبادة، التصوّف، كل هذه المفاهيم بمعنى واحد، تتكتل وتتجمع تحت ظلال كلمة واحدة ... كلمة "الإسلام" وكل هذه المسميات روافد فرعية تتلاقى عند النبع الأصيل عند الشريعة الإسلامية في روحانياتها وسماحتها وفي إشراقها وشفافيتها)(7).

---

(2) السائح علي حسين ، لمحات من التصوّف ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، بدون مدينة وبلد بتاريخ 1423هـ- 1994م ص 27.

(3) المرجع السابق نفسه ص 27.

(4) المرجع السابق نفسه ص 26.

(5) الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ، في التصوّف والأخلاق (دراسات ونصوص) ، دار القلم ، الكويت ، 1403هـ - 1983م ، ص 58.

(6) المرجع السابق نفسه ص 58.

(7) الإمام أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية(تحقيق الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محجوب بن الشريف) ، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1409هـ - 1989م ، ص 4.

من هذه التعريفات يتضح أن الصوفية تعني عند المتصوفة الالتزام بشرعة الإسلام وهذا ميزان يمكن أن يزن عليه الناس الطرق الصوفية ومدى التزامها بالشريعة الإسلامية ثم الحكم عليها، من المصطلحات المهمة في الصوفية الطريق والطريقة.

بعض المصطلحات في الصوفية منها الآتي:

(1)الطريق والطريقة:

ورد في اللُّغة (8) أن أصل الكلمة من "طرق" فيقال: (طرق النجم يطرق طروقاً: طلع ليلاً، وهو النجم الطارق .. وفي التنزيل العزيز: {وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ}[الطارق: 1].

وطرق المعدن طرقاً: ضربه ومدده، وطرق الصوف ونحوه: نفشه وندفه . وطرق الباب قرعه . وطرق القوم طرقاً وطروقاً: أتاهم ليلاً، وطرق الطريق: سلكه، وطرق الكلام: عرض له وخاض فيه.

الطريق: المطروق والممر الواسع الممتد أوسع من الشارع.

والطريق مسلك الطائفة من المتصوفة . والجمع: طرق.

والطريقة: الطريق والسيرة والمذهب . وفي التنزيل العزيز في قصة فرعون: {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}[طه:63].

والطريق: السبيل تطرقه أرجل السَّالكين، يُذَكَّر ويؤنث، وأطلق على المسالك الذي يسلكه الإنسان محموداً أو مذموماً، لأن يسير عليه.

(2) المقامات والأحوال الإيمانية:

ومن المصطلحات المهمة جداً عند المتصوفة المقامات والأحوال الإيمانية . قال بعض العلماء في تعريف المقامات .

(المقامات جمع مقام، وهو موضع القيام وهو إمّا أن يراد به أمر حسي كما قال تعالى: {وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125]، قال المفسرون مقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحجر، فهذا مقام حسي (9).

أما استخدام كلمة المقام عند الصوفية فقد ورد: (استعمل الصوفية كلمة مقام لتدل على مرحلة من مراحل التعمق في العبادة وفي ذلك يقول الجرجاني في التعريفات "هو ما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف") . وقد شرح هذا المعنى بعبارة أوضح أبو النصر السّراج فقال: (فإن قيل ما معنى المقامات ؟ يقال: معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع لله عز وجل) وهذا يعني أن الصوفية استخدموا كلمة مقام بمعناها

---

(8) السيد محمد عقيل بن علي المهدي ، دراسة في الطرق الصوفية ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ ص 4.

(9) الأستاذ الدكتور / شوقي بشير عبد المجيد ، كتاب الذكر والذاكرين ، وزارة الإرشاد والأوقاف ، الخرطوم ، 2007م ص87.

المعنوي، فالسالك عندهم يبدأ بمقام التوبة مثلاً، وهو مقام معنوي، ثم ينتقل إلى مقامات أخرى كالتوكل والصبر والشكر ونحو ذلك من المقامات المعنوية (10).

من هذا يتضح أن المقامات لها معانٍ حسية وأخرى معنوية وهي بهذا تأتي في معناها الحسي كما ورد عن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، أما في معناها المعنوي فهي صفة يترقى فيها المتصوف حسب تجويده للعبادة والذكر وقيام الليل، حيث يبدأ مشوارها من التوبة التي هي الرجوع إلى الله امتثالاً لأوامره وتركاً لنواهيه، ثم يأتي بعدها التوكل الذي هو أيضاً يعني تفويض الأمر لله مع الأخذ بالأسباب التي هي من أصل الشريعة الإسلامية .

ولعل هذا التدرج يوضحه ما قاله الشيخ أبو حامد الغزالي: (والمقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشي منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينتقل إلى غيره)(11).

وقد ورد في المقامات أقوال كثيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها، ويورد الباحث منها ما ذكره الأستاذ الدكتور شوقي بشير، قال: (وأما البسطامي فقد تكلم عن المقامات بصورة تختلف عن كلام أئمة التصوف في ذلك، قال البسطامي كنت في مقامي بكى عليّ أهل السموات والأرض، ثم صرت في مقام بكيت على أهل السموات والأرض، وقيل لأبي يزيد: متى يبلغ الرجل مقام الرجال في هذا الأمر ؟ فقال عرف عيوب نفسه وقويت تهمته عليها)(12).

(3) الحال:

ومن المصطلحات التي تستحق الوقوف مصطلح الحال وهو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب وقيل هو تغير الأوصاف على العبد(13).

وقال الكاشاني في كتابه اصطلاحات الصوفية: (الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمُّد ولا اجتلاب كحزن، أو خوف، أو بسط، أو قبض، أو شوق ... ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا فإذا دام وصار ملكاً يسمى مقاماً)(14) .

(4) التوكل:

ومن المصطلحات مقام التوكل الذي يعرف بأنه: (طمأنينة القلب بموعود الله تعالى، فإذا كنت مطمئناً بالموعود استغنيت غنى لا تفتقر معه أبداً)(15).

---

(10) الأستاذ الدكتور شوقي بسير عبد المجيد ، مرجع سابق ص87.

(11) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين 28/1.

(12) الدكتور شوقي بشير ، نقد الله ابن تيمية ومدرسته للتصوف، الخرطوم ، ص 96.

(13) الدكتور شوقي بشير ، الشيخ السلطان أبو يزيد البسطاني ، مرجع سابق ص 88.

(14) نقلاً عن المصدر السابق للدكتور شوقي (كتاب الشيخ السلطان أبو يزيد السلطاني) ص 88

(15) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 288/4.

والتوكل أمر مطلوب في الدين وقد ورد فيه كثير من النصوص، قال تعالى: {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة:23]، وقال تعالى أيضاً: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً} [النساء: 81].

(5) المحبة:

ومن المصطلحات أيضاً المحبة: وقد أورد في ذلك الأستاذ الدكتور شوقي بشير (16)في كتابه عن أبي يزيد البسطامي كثيراً منها نذكر الآتي:

قال أبو يزيد: (إلهي ليس بعجيب أن أحبك وأنا العبد العاجز الضعيف المحتاج، بل العجيب أن تحبني أنت وأنت الرب والمليك الغني).

وقال أيضاً: (كمال درجة العارف احترامه بالمحبة).

(6) الولاية:

ومن المصطلحات المهمة مصطلح الولاية، يعتبر أشياخ الطرق الصوفية أن الولاية والإرشاد هما ركنا المشيخة في طريق الله، والولاية لها أركان تقدم عليها، وصفات تعرف بها من أركان الولاية كما ذكر الشيخ عبد المحمود الحفيان(17) (سوداني) قال: فمن أركان الولاية:

الإيمان.

التقوى.

الصدق.

الإخلاص.

وللإرشاد ركنان يقوم عليها وهما:

العلم.

العمل.

واتضح أن هذا المصطلح يقوم على قيم إسلامية ساطعة بينة من تمسك بها فقد نجا بإذن الله تعالى، ومن ابتعد عنها هلك لأنها ترتكز على الإيمان الذي هو مربوط بالعمل كما ورد في قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ{1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{3}[العصر: 1– 3].

وكذلك التقوى التي هي سنام الدين والصدق الهادي إلى البر الهادي إلى الجنة، والإخلاص الذي هو نية العبد الخالصة لله سبحانه وتعالى وقد وردت سورة باسم الإخلاص، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ{2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3}وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4} [الإخلاص: 1–4].

---

(16) الأستاذ الدكتور شوقي بشير ، الشيخ السلطان أبو يزيد البسطامي ، مرجع سابق ص 91.

(17) الشيخ عبد المحمود الحفيان ، الشيخ عبد القادر الجيلي حياته وآثاره ، سلسلة الذكر والذاكرين ، إصدارة رقم (1) ، الخرطوم ، 2007م ، ص199.

لاشك أن السودان هو بلد من بلاد العالم الذي انتشرت فيه الصوفية، وقد كان للسادة الصوفية الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في نشر الدعوة الإسلامية في مكان معروف عند كل السودانيين باسم المسيد وهو المكان الذي يحتوي إلى مكان تحفيظ القرآن وتدريس بعصر العلوم بصورة ميسرة، وفيه أيضاً مسجد للصلاة والمسيد عند كثير من أهل السودان يعرف بالمسجد ولعل لها أصل في لغة العرب.

والسودان في مختلف عصوره الوطنية بعد الاستقلال الذي كان في يناير 1956م، أهتم فيه المسؤولون بخلوات الصوفية ومسايده، ولعل أبرز ذلك ما عمله النظام الحالي من إنشاء مجلس قومي للذكر والذاكرين وهو الهيئة التي تنظم الطرق الصوفية في كيان واحد سعياً نحو توحيد أهل القبلة واستفادة من تراثهم في تأسيس خلوات القرآن وحلق الذكر، ودواوين الشعر خاصة في مدح الرسول ρ.

والطرق الصوفية في السودان لها مجالات كثيرة وأفضال في تعليم الناس الدين وحثهم عليه. قال الشيخ عثمان الكباشي الأمين العام لمجلس الذكر والذاكرين: (أما الحال في بلادنا "السودان " على وجه الخصوص فإن مدارس حفظ القرآن الكريم، ومعاهد العلم، ومواقع تعليم اللغة العربية قراءة وكتابة كلها مرتبطة في السودان بمؤسسة "المسيد" التي انطلق منها المتصوفة بمنهجهم المتميز في الدعوة إلى الله تعليماً وإطعاماً وإيواءً وقبله للمعوزين والمحتاجين فكانوا بذلك موقع ثقة الناس ومرجعياتهم في أمور الدين عامة)(18).

أشهر أشياخ الطرق الصوفية في السودان:

ذكر الشيخ عثمان الكباشي في تقديمه لكتاب الأحكام الفقهية من إمام دار الهجرة النبوية تأليف الشيخ عبد المحمود نور الدائم (من أشهر أشياخ الطريقة السمانية في السودان) . قال الشيخ الكباشي: (إن استعراضاً سريعاً لرموز الفكر الصوفي ومؤلفاتهم تغنينا عن الإفاضة في ذلك، وهل تخطي ؟ العين علماء ومراجع أمثال الشيخ أحمد الطيب البشير، والشيخ إدريس ود الأرباب، والشيخ قريب الله، والشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، والأستاذ عبد المحمود الشيخ نور الدائم، وابنه الشيخ الجيلي، وحفيده الحجة الفريد الشيخ عبد المحمود الحفيان، والشيخ مجذوب مدثر الحجاز والشيخ ود بدر، والشيخ الكباشي، والشيخ المجذوب، والشيخ أبو العزائم، والشيخ أحمد البدوي، والشيخ البرعي، والشيخ الصابونابي، وليس انتهاءً بالشيخ عوض الله صالح أو الشيخ عبد الجبار المبارك .....الخ)(19).

هؤلاء الأشايخ كل منهم له طريقة وبعضهم يجتمعون في طريقة واحدة . ولعل أهمّ ما يميز هؤلاء الأشايخ غير تقواهم التي عرفت عنهم هو اهتمامهم بالقرآن الكريم وطلبته، وكذلك العلم وطلبته

---

(18) عثمان البشير الكباشي في تقديمه لكتاب الدرة الثمينة في أخبار الرحلة إلى مكة والمدينة ، تأليف الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم الطيبي ، تحقيق: المدني محمد توم ، إصدارة رقم (15) ، العام 2007م ص 4.

(19) الشيخ الأستاذ عبد المحمود نور الدائم الطيبي ، الأحكام الفقهية من مذهب إمام دار الهجرة النبوية ، كتاب الذاكرين ، ط2 ، 1428هـ -2007م ، ص5.

وعمل الإيواءات لهم والإطعام والشراب وكل ما يحتاج إليه الطالب الفقير الذي لا يجد ما ينفق عليه . وأذكر على سبيل المثال بعض الطرق الصوفية في السودان وإن كانت معروفة عالمياً لامتدادها في بعض الدول وقد تكون بعض الطرق الصوفية، جاء بها أشياخها هجرة إلى السودان فمن أشهر الطرق الصوفية في السودان:

أشهر الطرق الصوفية في السودان

!) الطريقة الختمية:

تمركزت الختمية في مراحلها الأولى في الحجاز وانهمكت في حركات البعث الإسلامي العريضة، وفي الصراعات السياسية في الحجاز . وبنهاية القرن التاسع (20) انتقل مركز الطريقة إلى السودان والساحل الأفريقي والبحر الأحمر.

كان للشيخ أحمد بن إدريس الأثر المهم على تفكير محمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية، وقال د.جون عن أحمد بن إدريس (1760م – 1837م): (هو نتاج التسوية بين العلماء والصوفية .... وقد مارس أحمد بن إدريس تأثيرا متميزاً على طبيعة تلك الطريقة في أيامها الأولى)(21) . وكان مؤسس الطريقة الختمية محمد عثمان الميرغني من تلاميذ أحمد بن إدريس المشهورين الذي ولد وترعرع في الحجاز.

أعتمدت عائلة الميرغني على مكانتها في الحجاز وأصلها الشريف وثروتها، كانت الحقيقة الخاصة بثراء الأسرة تلمع في اسمها فكلمة ميرغني تعني(رجلاً صالحاً غنياً)(22).

تعاليم محمد عثمان ومنهج نظامه:

كان محمد عثمان عالماً أكثر منه مصلحاً ناشطاً، والأفكار الرئيسية التي يعملها هي الحاجة إلى الوحدة الإسلامية وتطوير المواقف الصوفية . ولعل اسمها يشير إلى ذلك. قال د.جون: (ويشير اسم الطريقة نفسه إلى هذا الأمل للوحدة، فهي خاتمة الطرق "الختمية" وأصبح محمد عثمان نفسه يعرف "بالختم" ويعني أن الشخص هو خاتم العصر نسبة لمعرفته بالله)(23).

ولعل هذه المصطلحات تشير إلى أن محمد عثمان وطريقته هما الوسيلة التي يمكن أن توحِّد العالم الإسلامي روحياً على أقلَّ تقدير.

تأسيس الطريقة في السودان:

---

(20) د.جون أوبرت فول ، تاريخ الختمية في السودان ، (ترجمة وتقديم د. محمد سعيد القدَّال) ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 2002م ، ص67.

(21) المرجع السابق نفسه ، ص68.

(22) د.جون ، مرجع سابق ، ص73.

(23) المرجع السابق نفسه ، ص78.

وصل محمد عثمان الميرغني السودان في أخريات أيام سلطنة الفور في حوالي 500سنة للهجرة، حقق محمد عثمان أثناء رحلته للسودان أمرين مهمين بالنسبة لتاريخ الختمية اللاحق.

أولهما: سفره إلى السودان الشمالي للوعظ والإرشاد.

ثانيهما: كسب بعض الاتباع، من فقهاء الخلوات المحليين وبعض العائلات الدينية الرئيسة، وبعض زعماء القبائل . وحافظ أولئك الرجال على صلتهم بمحمد عثمان وأصبحوا هم الشخصيات التي مكنت الحسن ابنه من تأسيس الطريقة ونشرها في السودان.

إن المراكز الحقيقية للتأييد الشعبي التي أنشأها محمد عثمان كانت في شمال السودان وشرقه. اتسعت الرقعة التي انتشرت فيها الختمية في السودان في عهد الحسن الميرغني مؤسس الطريقة.

بعض المواقف لقادة الطريقة الختمية:

كانت الطريقة الختمية أميل للحكومة المصرية، وبالتالي عادت المهدية التي كانت ترى العداء مع مصر ولا تحب الاقتراب منها.

الطريقة الختمية في القرن العشرين:

احتلت الختمية مكاناً مهماً في السودان خلال القرن العشرين ونشطت وسط الشعب السوداني، كما ظلت عائلة الميرغني تقود الطريقة في القرن العشرين مثلما قادتها في القرن التاسع عشر . وقد رسخت مكانتها الدينية لاعتقاد الناس في البركة التي يتوارثها قادتها.

استمر نمط النشاط الذي يعتمد على الأوراد والمولد العثماني "كتاب ألَّفهُ السيد محمد عثمان الميرغني عن سيرة الرسول ρ".

أصبح اتباع الطريقة الختمية يتلونه في أوقات معينة ولعل هذه من الطقوس التي تمسكت بها معظم الطرق الصوفية في السودان، قال دكتور عبد الله حسن زروق: (ولهذه سمات عامة وهي أسلوب للذكر، وورد معين، ولجوء للخلوة، أو الصحبة، والتزام للشيخ وطاعة له وعدم التحوُّل من طريقة لطريقة أخرى، ولكل طريقة عقائد وممارسات خاصة وشروط معينة).(24).

واستمر النشاط لاتباع الطريقة الختمية، ولكن ما إن انتشر التعليم والمواصلات في تحطيم الهياكل القديمة للمجتمع واحتاجت هذه الطرق لإعادة البناء والنشاط بين أفراد الشعب خاصة العضوية.

قال د.جون: (وتحتاج الختمية إلى إيجاد نوع من الصلة تتوسل بها إلى الجماعات التي أخذت تبرز حديثاً، ولابدّ أن يكون لها نوع من الصلة الوثيقة مع المجتمع الجديد الذي بدأ في الظهور وتدهور دورها كحام للدين الشعبي التقليدي في المجتمع السوداني . إن الختمية في حاجة إلى أشكال وصياغات

---

(24) دكتور عبد الله حسن زروق ، منهجية لدراسة التصوف (أصول التصوف) ، دار جامعة أمد رمان الإسلامية للطباعة والنشر ، أمد رمان ، السودان ، 1993م ، ص16.

جديدة، وإلى تكيف جديد مع الأوضاع المتغيرة، إذا كان لها أن تستمر وتحتل مكاناً مهماً في المجتمع السوداني)(25).

إن المجتمع السوداني كغيره من المجتمعات قد تأثر بالتطور العلمي والتسابق المعلومي وأصبح كل كيان لا يواكب هذه التطور سيكون مآ له إلى زوال وما يقال عن اتباع الطريقة الختمية، يقال عن كل الطرق التي تستطع تطوير هياكلها وبرامجها وفق الواقع المتطور.

(2)الطريقة التجانية:

من الطُّرق المتأخرة في الزمن الطريقة التجانية، وهي تنسب إلى أحمد بن محمد المختار التجاني من قرية (عين ماضي) بالجزائر، وقد تنقل في الأمصار الإسلامية كلها واستقر بفأس بالمغرب وقد ورد عن بعض العلماء: (هي طريقة لا تقبل تراتيل غيرها ولا ترددها وهي تسمى أتباع الصوفية بالأحباب بدلاً من الفقراء وقد دخلت السودان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر)(26). وما ميز هذه الطريقة شروطها للأحباب.

شروط الطريقة التجانية:(27)

أن لا يجمع مع الطريقة طريقة أخرى.

تصديق الشيخ في جميع أقواله.

أن لا ينتقد الشيخ.

دوام محبة الشيخ.

مداومة الورد.

أن لا يزور المشايخ إلا بإذن شيخه.

مجانبة المنتقدين للشيخ.

أن لا يعطي الورد من غير إذن الشيخ .

الاجتماع للوظيفة .

هذه الطريقة من الطرق التي انتشرت بسرعة في السودان وبعض بلاد إفريقيا وأصبحت ذات أثر حتى على المنتمين للحركات الإسلامية الحديثة مثل حركة الإخوان المسلمين التي أسست عام 1928م في جمهورية مصر العربية وفي السودان انتشرت في الغرب المتاخم لأفريقيا.

(3)الطريقة السَّمانية:

هي طريقة اشتهر أشياخها بالعلم ومنهم الشيخ عبد المحمود نور الدائم، وأبناءه وأحفاده.

---

(25) د.جون ، مرجع سابق ، ص303.

(26) د.عبد القادر محمود ، الفكر الصوفي في السودان ، (بدون ناشر) ، السودان ، بتاريخ 1967م ، ص 201.

(27) نقلاً عن د.عبد الله حسن زروق ، مرجع سابق ، ص16.

أشهر مؤلفات أشياخ الطريقة السَّمانية:

***الشيخ عبد المحمود نور الدائم (1845هـ – 1915م) أهم مؤلفاته:**

الأحكام الفقهية من مذهب إمام دار الهجرة النبوية (عن الفقه المالكي).

الدرة السمينة في أخبار الرحلة إلى مكة والمدينة (رحلة الحج والحجيج).

الروض البهيج (ديوان شعر).

شرب الكأس (ديوان شعر).

***الشيخ عبد المحمود الحفيان (1919هـ – 1973م) هو حفيد الشيخ عبد المحمود نور الدائم**

أشهر مؤلفاته:

موسوعة نظرات في التصور الإسلامي (3 أجزاء) من بينها جزء عن (البيئة السَّماع).

الشيخ عبد القادر الجيلي حياته وآثاره.

ومن مشاهير علماء السودان الذين كان لهم دور في نشر العلم على طريق المتصوفة أولاد جابر منهم الشيخ إبراهيم جابر البولاد، جذورهم من اليمن جدهم الكبير هو الشيخ غلام الله بن عائد بن مقبول بن أحمد بن الزيلعي اليمني وهو جد قبائل الركابية في السودان (28).

ومن المشاهير الذين اهتموا بالتصوف علماً، الشيخ الفكي الأمين الضرير (1815هـ – 1885م).

أهم آثاره العلمية:

ميراث الجد.

التهوين القدير في تبين ما يستحقه كل وارث.

جدول مبتكر ميسر يوضح نصيب كل وارث.

مؤلفات في التجويد.

بحوث ورسائل علمية وأدبية وتاريخية.

---

(28) الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي ، أعلام علماء الذاكرين ، رسائل الذاكرين ، الخرطوم (إصدارة رقم 13) ، 1428هـ – 2007م ص17

إن الحديث عن مفاهيم التصوف يحتاج لكثير، وقد ركز الباحث على ما هو متفق عليه، وترك بعض المصطلحات التي شابها الغلو مثل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

وفي الحديث عن تجربة السودان ما ذكر هو أمثلة للطرق الصوفية في السودان وهي أصول وفروعها كثيرة فالسمانية التي اشتهرت هي ممتدة من القادرية.

وإذا أراد الباحث أن يتحدث عن الجانب الصوفي في المهدبة وبقية الطرق مثل الإدريسية، والقادرية التي أصل لكثير من الطرق، والشاذلية، والمجذوبية، والإسماعيلية، والطريقة المكاشفية، والعركية، والتسعينية، والبرهانية وغيرها، لأحتاج لكتب، ولكن الباحث اكتفى بما ذكر كأمثلة.

توصل الباحث إلى نتائج اهمها:

أثر الصوفية في حفظ القرآن الكريم ومؤسساته التي تهتم به من مساجد وخلوات ومساجد ومعاهد وغيرها. كان واضحاً في كل أنحاء العالم وخاصة السودان.

مكنت الصوفية للعلوم الشرعية من فقه وسيرة وحديث ولغة عربية بين الرجال والنساء ونشرها.

ساعدت الصوفية على نشر الدعوة الإسلامية في ربوع العالم وفي السودان على وجه الخصوص في الشمال والشرق والغرب، وقلَّ نشرها في الجنوب السوداني لوجود المستعمر الذي قفل الجنوب عن الدعوة.

ساعدت الصوفية في نشر الأدب والرقائق بين أهل السودان وبث التربية الإسلامية في ربوعه.

مكنت لروح السخاء والبذل والعطاء بين أهل السودان على أساس أن الكرم والجود من الإسلام الذي يقوم على البذل والإنفاق وينهى عن الشُّح والإمساك.

أما التوصيات التي توصل إليها الباحث:

العمل على تنظيم مؤسسات هذه الطرق لتستفيد من التقنيات الحديثة في حفظ القرآن الكريم وتلقي العلم.

العمل على الاستفادة من الطرق الصوفية في تثبيت قواعد الدين الإسلامي وتوجيهها وفق المنهج السليم.

الحفاظ على موروثات الطرق الصوفية في الرقائق والآداب والجود والكرم والبذل والعطاء.

المحافظة على التعليم الأصلي الذي يعني ما تقوم به المساجد والمساجد من تدريس لكتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية بصورة مبسطة.

الحرص على بناء مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم وإجلاس الطلاب بصورة تحبب إليهم هذه المؤسسات وما يتلى فيها – وصيانة ما هو قائم منها.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع:

عبيدان ذوقات وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، الأردن، ط8، 2004م،.

السائح علي حسين، لمحات من التصوّف، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، بدون مدينة وبلد بتاريخ 1423هـ- 1994م.

الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة، في التصوّف والأخلاق (دراسات ونصوص)، دار القلم، الكويت، 1403هـ - 1983م.

الإمام أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية(تحقيق الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محجوب بن الشريف)، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1409هـ - 1989م.

السيد محمد عقيل بن علي المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ ص 4.

الأستاذ الدكتور / شوقي بشير عبد المجيد، كتاب الذكر والذاكرين، وزارة الإرشاد والأوقاف، الخرطوم، 2007م .

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين 28/1.

الشيخ عبد المحمود الحفيان، الشيخ عبد القادر الجيلي حياته وآثاره، سلسلة الذكر والذاكرين، إصدارة رقم (1)، الخرطوم، 2007م.

عثمان البشير الكباشي في تقديمه لكتاب الدرة الثمينة في أخبار الرحلة إلى مكة والمدينة، تأليف الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم الطيبي، تحقيق: المدني محمد توم، إصدارة رقم (15)، العام 2007م.

الشيخ الأستاذ عبد المحمود نور الدائم الطيبي، الأحكام الفقهية من مذهب إمام دار الهجرة النبوية، كتاب الذاكرين، ط2، 1428هـ -2007م

الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي، أعلام علماء الذاكرين، رسائل الذاكرين، الخرطوم (إصدارة رقم 13)، 1428هـ - 2007م .

د.جون أوبرت فول، تاريخ الختمية في السودان، (ترجمة وتقديم د. محمد سعيد القدَّال)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2002م.

دكتور عبد الله حسن زروق، منهجية لدراسة التصوف (أصول التصوف)، دار جامعة أمد رمان الإسلامية للطباعة والنشر، أمد رمان، السودان،1993م.

د.عبد القادر محمود، الفكر الصوفي في السودان، (بدون ناشر)، السودان، بتاريخ 1967م.